النموذج المعرفي في الرؤيتين الإسلامية والغربية

دراسة تحليلية في المنطلقات التأسيسية والأبعاد والتعالقات بين طارق رمضان وادغار موران

The epistemological model in the Islamic and Western perspectives An analytical study of the foundational perspectives, dimensions, and relations between Tariq Ramadan and Edgar Moran

إيمان قرقي[1]

طالبة دكتوراه جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

imengargui@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/09/23 القبول 2022/01/25 النشر على الخط 2022/05/10

Received 23/09/ 2020 Accepted 25/01/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

يهدف هذا المقال الى بيان أهم مميزات النموذج المعرفي، في الرؤيتين الإسلامية والغربية، عند أهم نموذجين (**طارق رمضان وادغار موران**)، وذلك من خلال محاولتهما لفهم تعقيدات العالم، واستكناه النماذج الكامنة في شتى الحقول المعرفية، وتجاوزها من خلال توليد نماذج جديدة، فرغم اختلاف المرجعية التأسيسية لكلا المفكرين، الا أنهما متقاربين من حيث البعد والمسعى، هذا ما دفعنا إلى استكناه براديغم الاعتراف، الذي يعزي الى البعد الكوني الذي نلمسه كلما تطرقنا الى أفكارهما.

الكلمات المفتاحية: البراديغم، الرؤية الإسلامية، الرؤية الغربية، التركيب، الاعتراف.

Abstract:

This article aims to explain the most important features of the cognitive model, in the Islamic and Western viewpoints, of the two most important models (Tariq Ramadan and Edgar Moran), through their attempt to understand the complexities of the world, and the underlying models in the various fields of knowledge, and bypassing them by generating new models, despite the difference The foundational reference for both thinkers, but they are close in terms of dimension and endeavor. This is what prompted us to embrace it with recognition, which is attributed to the cosmic dimension that we touch whenever we touch upon their ideas.

Keywords: paradigm, Islamic vision, Western vision, synthesis, recognition.

[1]– المؤلف المراسل: قرقي إيمان البريد الإلكتروني: **imengargui@gmail.com**

مقدمة:

إن مسعانا في هذه الورقة البحثية ، تروم إلى استكناه النموذج المعرفي في الرؤيتين الإسلامية والغربية ، من خلال تباينهما من حيث المرجعيات التأسيسية والتصورات ،وكذا الأبعاد و التطبيقات ، ولتوضيح ذلك وقع اختيارنا على أنموذجين (**ادغار موران وطارق رمضان**) مختلفين من حيث الرؤية والمرجعية ، متقاربين من حيث البعد والمسعى ، إذ أنهما يحاولان فهم تعقيدات العالم ، مما مكن لهما إدراك النماذج الكامنة في شتى الحقول المعرفية ، وتجاوزها من خلال توليد نماذج جديدة ،حيث حاول **طارق رمضان** من خلال خطه المنهجي، بناء نموذج يمكن المسلم الأوروبي من فهم الواقع ويساعده على تخطي الأزمات المعرفية التي يعيشها ، ولهذا قام بنقد النموذج المهيمن المتمثل في **دار الكفر والإسلام** ، الذي اكتسب في الماضي قدرات تفسيرية عالية ،إلا أن تغير المعطيات الزمكانية وميلاد سياسات جديدة ، استدعى إلى توليد نموذج معرفي له قدرة تفسيرية عالية في الإجابة عن أسئلة المسلمين وتطلعاتهم في السياق الغربي ، لذا يقدم **طارق رمضان** نموذج **فضاء الشهادة** كبديل عن النموذج المهيمن ، فمحاولة تطويره لهذا النموذج ولدت مفاهيم ضمن نسق اجتهادي (**الإسلام الأوروبي** ، **النحن الجديد**..) يؤطر الحضور الإسلامي في الغرب. أما **ادغار موران**، فقد سعى في مشروعه إلى محاربة براديغم التبسيط والفصل والاختزال في المعارف، داعيا إلى براديغم الفكر المركب المبني على أبستمولوجيا حوارية ومنفتحة، والتي تستلزم إصلاح نمط التفكير بوجهيه الاجتماعي والذاتي.

سنحاول من خلال هذه المقال، استجلاء ما يسمى براديغم الاعتراف، فرغم أن المفكرين ينتميان إلى فضاءات مرجعية مختلفة، وتناقضات مساراتهما الفكرية، إلا أنهما يحظيان بشيء من التوافق الذي يعزي إلى البعد الكوني الذي نلمسه كلما تطرقنا إلى أفكارهما، فخطابهما هو التعبير عن الكونية التي تقبل بالتنوع. والسؤال الذي نطرحه هنا: ماهي معالم البراد يغم في الرؤيتين الغربية والإسلامية عند طارق رمضان وادغار موران؟ هل استطاع كلا من المفكرين أن يطورا بدورهما نموذجا بديلا له قدرة تفسيرية عالية في تغيير الواقع، وللخروج من هيمنة البراد يغم المختزل؟ وهل يمكن أن يكون هناك مقاربات بين البردايغم الإسلامي والغربي؟

أولا: طارق رمضان ونقد النموذج المهيمن في الرؤية الإسلامية:

1/ – نقد "طارق رمضان" للنموذج المهيمن في السياق العربي الاسلامي: الانفصام المعرفي بين النص والواقع:

تعد إشكالية السياق، من أبرز العقبات المعرفية التي يعالجها "**طارق رمضان**" في مسيرته الفكرية، فهو يعتبر أن "**الفقه والفكر وليد فقه الشرعوفقه الواقع معا، فإن ارتفع أحدهما انتهى الشرع كله**"[1]، والشريعة الإسلامية بهذا المعنى، تحمل "علماء النص" (Les savants du Texte)، وعلماء الواقع (Les savants du contexte)، معا مسؤولية الانفصام المعرفي، الذي يرزخ فيه العقل المسلم، وتبعات المفارقة الحضارية التي تعاني منها الأمة الإسلامية، تتجلى في فهمها للنص القرآني، الذي يؤسس في عمقه، لأمة فاعلة في بيئتها، ممكنة لديها، متفتحة عل غيرها، وشاهدة على الأمم في عصرها من جهة، ومن جهة أخرى تشهد واقع أمة شاردة عن مرجعتيها، لا تزال تتحسس طريقها، "**تبحث عن مفاتيح سجنها عند سجانها**[2]".

لهذا نجد **طارق رمضان**، ينتقد وبشدة الفقه المعاصر، معتبرا إياه قاصرا عن حل مشكلات المسلمين، ومرد ذلك الخلل، هو أن هناك خلل في مناهج استثمار ذلك الفقه وحال مستثمريه، ولقد ذكر **طارق رمضان** عناصر عديدة يشكل مجموعها السبب الأكبر في قصور الاجتهاد والمجتهدين عن إنشاء فقه معاصر يضاهي التحديات التي تنزل بالمسلمين في العصر الحديث، وهذه العناصر التي عرضها في سائر كتبه دون ضبطها تحت عناوين، متلازمة تلازما وثيقا يرجع بعضها إلى بعض، فلنحاول اختصارها كالآتي : عدم تمكن علماء المجامع الفقهية من العلوم الحديثة وضعف اعتبار الواقع

[1]– طارق رمضان، **الإصلاح الجذري، الأخلاقيات الإسلامية والتحرر**، ترجمة أمين الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2010، ص 135-169.

[2]– مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة، عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، سوريا، الطبعة الثانية، 2002، ص97.

وهيمنة النصوص المطلقة وسلطة علمائها الخالصة، وكذا شكلية المجامع الفقهية وافتقاد النظرة الشمولية والمقاصدية، وأيضا مثالية الخطاب وغياب الفكر عن كثير من القضايا المعاصرة الأساسية، واغفال كثير من الاعتبارات الظرفية المؤثرة في فهم النصوص وقراءتها.

2/-نقد طارق رمضان للنموذج المهمين في السياق الغربي:

لا اختلاف في أن الحضور الإسلامي اليوم في الغرب ظاهرة مركبة ومتشابكة، يعسر تحليلها باختزال، لأن الأمر يتطلب استحضار المعطيات، ودراسة المحيط الغربي، من أجل الخروج بنموذج أكثر تفسيرية يخول المسلمين في الغرب تموقعا أفضل وفعالية أكبر.

فإذا رجعنا وراجعنا الظروف التاريخية التي عاشها الأجيال الأولى من المسلمين في الغرب –والتي لا يتسع المقام لسردها-يظهر لنا تباين خياراتهم في التفاعل مع السياق الجديد، ومن أبرزها:

1- فئة منسلخة عن دينها باعتبار أن السياق مختلف، وأن تعاليم الإسلام غير متناغمة مع البيئة الغربية، مما أكسبها ود الآخر، إلا أنه جعلها تخسر دينها وإيمانها.

2- طائفة ثانية من المسلمين انغلقت على ذاتها، من أجل المحافظة على دينها، مما منح الفرصة لغيرها بمراكمة الخلفيات وتكديس الأحكام النمطية المسبقة عنها.

لم يجد "**طارق رمضان**" بغيته في الخيار الأول، لأنه يسعى جاهدا إلى فعالية أكبر وتفاعل أعلى مع البيئة الغربية،[1] ولكنه في نفس الوقت ليس مستعدا من جهة أخرى، أن يدفع دينه وإيمانه ضريبة باسم "**التفاعل مع الآخر**".

أضف إلى ذلك أن "**طارق رمضان**" لم يكن راضيا البتة، على بعض المسلمين في الغرب اللذين فضلوا الانغلاق والانطواء على نفسهم، فهو يرى أن المسلم ينبغي عليه امتلاك الثقة الكافية في نفسه للتعامل مع بيئته،[2]

يظهر مما سبق أن "**طارق رمضان**"، كان واعيا أن ثمة أزمة معرفية ينبغي التنبيه إليها، والتي يطرحها كالتالي: أن الحضور الإسلامي في الغرب يمثل سياقا مختلفا تماما عن كل حقبة تاريخية سابقة في الأمة الإسلامية، مما يستدعي رؤية فقهية وفكرية توليدية اجتهادية للنصوص الشرعية على ضوء هذا السياق الجديد، قصد الوفاء للرؤية الكونية الإسلامية، والتزام بتعاليمها من جهة، ومن أجل حضور أكثر فعالية وتفاعلا مع المحيط الغربي من جهة أخرى.

وانطلاقا مما سبق بيانه، يدعو **طارق رمضان** إلى تحليل نموذج "**دار الإسلام ودار الحرب**"، وفق معطيات هذا السياق الجديد، قصد فحص القدرة التفسيرية لهذا النموذج مع السياق الغربي، لندرس مدى تناغمه وتناسبه في تفسير ظاهرة مركبة هي الحضور الإسلامي في الغرب.[3] ويرى "**طارق رمضان**" أن "**دار الغرب**"** سياق زماني ومكاني مغاير لتلك الظروف التاريخية التي ولدت الثنائية المجردة في الحكم على العالم من حولنا على أنه إما "دار إسلام" أو "دار كفر" فالسياق أبان عن ضعف في القدرة التفسيرية للحضور الإسلامي في الغرب الجديد.

ويمكن تلخيص نقد "**طارق رمضان**" لنموذج "**دار الكفر والإسلام**" كالآتي:

أ- نموذج "**دار الإسلام ودار الكفر**" غير ملزم بالضرورة، باعتبار أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة.[4]

---

[1]- ويتضح ذلك في كونه باحثا في الفلسفة الغربية وقدم أطروحته في الدكتوراه حول الفيلسوف "نتشيه"، مما أكسبه معرفة دقيقة بالمنظومة الفكرية الغربية بالإضافة إلى ذلك تكونه في اللغات من الفرنسية والإنجليزية، وانخراطه في العمل الإنساني، مما أتاح له فرصة الحوار مع الآخر وتبادل الأفكار.

[2] - Taraq Ramadan, **Dar Asch-shahada**, **l'occident**, espace de t'témoignage, Ed Tawhidi, 2004, p 60,61.

[3] - Taraq Ramadan, **Mon intime conviction**, Ed, Archie poche, 2011, p 49.

[**]- دار الغرب مصطلح يوظفه طارق رمضان للتعبير عن الحضور الإسلامي في السياق الغربي.

[4]- طه كوزي، النماذج المعرفية في فكر طارق رمضان، مذكرة ماجستير في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى،2014،ص127.

ب- إن نموذج "**دار الإسلام ودار الكفر**" نتاج فعل اجتهادي لمفكرين وفقهاء متقدمين، أين كان الاجتهاد ما يزال حقا مشروعا غير معطل أمام العلماء والمفكرين المتأخرين.

ت- ينبغي اعتبار حاكمية القرآن الكريم ومنطقه، حيث أنه المنطلق في فهم السنة النبوية وتحليلها، فإذا أقرا النص القرآني، أن العلاقة بين المسلم وغير المسلم قائمة على البر والقسط[1] فإن المفسر أو المحدث أو الشارع ينبغي أن ينطلق من هذا المبدأ الحدي في التعامل مع النصوص الشرعية والتنظير للعلاقة بين المسلم وغير المسلم وتأطير تطبيقاتها، فمجرد الكفر لا يعني تطبيق أحكام الحرب على الكافر.[2]

إضافة إلى ذلك، فقد ولد التوظيف المباشر لنموذج "**دار الحرب**" و"**دار إسلام**" إشكالات فكرية عميقة تركت الشباب المسلم، عموما، والمقيم في الغرب خصوصا، يواجه قلقا معرفيا يعبر عن ضعف هذا النموذج في الإجابة عن الأسئلة المعرفية الراهنة، والتي يمكن إجمالها كالآتي:

1- نموذج "**دار الحرب ودار الإسلام**" "**متناغم مع حقبة سياسية ماضية ومناخ جيو استراتيجي تاريخي يسوده منطق القوة والهيمنة بين الأمم** "،[3] إلا أنه لا يستطيع أن يُفسر عالما حاضرا يُفترض أنه قائم على المعاهدات والمواثيق الدولية بين الأمم، حيث يُعد فيه توسع دولة على حساب أخرى احتلالا.

2- لم يعش فقهاؤنا المتقدمون **الأنوية الأرضية***، و"**التمازج الثقافي الذي يعيشه العالم اليوم، لذا فالنظر إلى العالم المعاصر وتقسيمه وفق ثنائية مجردة "دار الحرب ودار الإسلام" اختزال منهجي وعجز في اعتبار السياق المعاصر**"[4].

3- ما المعيار في الحكم اليوم على حيز جغرافي ما على أنه "دار الحرب أو دار الإسلام"؟، فإذا " **كان المعيار هو تنفيذ الأحكام وإقامة الشعائر فأغلب الدول الإسلامية اليوم ليست "دار إسلام"، أما إن كان المعيار هو الأمن، فإن المهاجرين المسلمين في بعض الدول الغربية يتمتعون بحرية التعبد وإقامة الشعائر أكثر من بعض البلاد رغم كون الأغلبية السكانية بها مسلمة والحاكم فيها مسلم**".[5]

4- لا يمكن النظر إلى الحضور الإسلامي اليوم في الغرب على أنه حضور سلبي طارئ، بل هو "**وجود مُتنام، وفعال، ومؤثر، ومؤثر، يحدد مآل الملايين من المسلمين ومصيرهم، في ظل ميلاد مفاهيم وأطر قانونية تسمح لهم بذلك: مثل "المواطنة" و"العلمانية" ... لذا فالشاب المسلم اليوم يرى نفسه فاعلا وفعالا في هذه البيئة الغربية، لكنه يجد في بعض الآراء الفقهية التقليدية، مثل نموذج "دار الحرب ودار الإسلام" عوائق فكرية وفقهية**".[6]، تمنع عنه التفاعل وتحد من فعاليته.

5- لقد أوقع هذا النموذج التقليدي السابق المسلم في مفارقة، وقلق معرفي متواصل، مما تولدت لديه أسئلة وجودية مفصلية:

- **من أنا؟ ومن نحن؟ أوروبي مسلم؟، أين نحن؟ دار حرب أم دار إسلام؟ هل الإسلام متناغم مع العلمانية؟ أم مناف لها؟**، وغيرها من الأسئلة العميقة حول هويته الفكرية، والاجتماعية، والتاريخية؟[7]

هذه الأسئلة وغيرها ولدت في فكر "**طارق رمضان**" رغبة البحث عن المعنى، وأخذته في رحلة طويلة لإيجاد إجابات أكثر تناغما مع بيئته، وأكثر تفسيرية لواقعه والسياق الجديد الذي يعيشه، ووعي "**طارق رمضان**" بهذه الأزمة المعرفية، جعلته يدعو إلى إعادة دراسة النصوص الشرعية، وقراءتها

---

[1]- المرجع نفسه، ص 59.

[2]- فيصل المولوي: **الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين**، دار الرشد الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، 1987، ص 101.

[3]- المرجع نفسه، ص 92.

*- الأنويةالأرضية: وهي الأنا المنفتحة التي ترى ذاتها من خلال الغير، وبلغة موران هي تلك التي تتضمن الرفع والتضمن.

[4]- طه كوزي، المرجع السابق، ص128.

[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها،

[6]- المرجع نفسه، ص129.

[7] - Taraq Ramadan, **Face à nos peurs**, le choix de la confiance, Ed, Tawhidi, 2004, p 61.

على ضوء "**السياق الغربي الجديد**" فتجده يحاول تمييز المطلق منها: (**قطعي الثبوت والدلالة**)، عن النسبي (**اجتهادات العلماء والمفكرين وفق سياقهم: التاريخي،والاجتماعي، والاقتصادي**). فقد حاول "**طارق رمضان**" تجاوز هذه الأزمة المعرفية، من خلال تقديم إجابات فكرية للحضور الإسلامي في الغرب، وجسد بدوره نموذجا علميا لها، وسنعرض هذا البناء الفكري في العنصر الموالي:

3/-تحول البراد يغم وملامح النموذج البديل:

3-1-موجبات تجديد أصول الفقه في عصرنا وفق منظور الرؤية الإصلاحية لطارق رمضان:

لا ينكر "**طارق رمضان**" ما أنجزته حركة الإصلاح من تجديد على المستوى الفقه الإسلامي، إلا أنه يرى أنها وصلت إلى حد توقفت عنده فتعطلت، ويرى "**رمضان**"، أن من نتائج تعطل حركة الإصلاح، تأخر الفقهاء عن مواكبة المستجدات، كما أن الإصلاحات الفقهية المقترحة من قبلهم لا تتجه إلى تغير الأوضاع العالمية الجديدة، وإنما تتجه إلى التكيف معها. كل تذلك يقتضي -وفق منظور رمضان-تجاوز التجديد على مستوى فروع الفقهية إلى التجديد في الأصول.

1- تعقيد الواقع:

يرى "**طارق رمضان**" في كتابه الإصلاح الجذري، أن الصحابة والعلماء الأوائل كانوا يراعون الواقع في فتاويهم بمعرفتهم العفوية للواقع، لذلك قرر "**رمضان**" أن مراعاة تلك المعرفة في الإنتاج الفقهي يجب أن تتغير مكانتها على قدر تعقيد هذه المعارف[1].

والسؤال الذي يطرح نفسهُ من جديد اليوم هو: هل سار العلماء إلى حدّ الكفاية في استيعاب الواقع وإعداد الفقه (على وفقه)؟ فمعرفة الواقع التي كانت أمرا طبيعيا في حق الصحابة والعلماء المجتهدين الأولين، ثم وضعت كمرجع ثانوي ضمني أو غير مباشر (من خلال مناهج أصول الفقه)، أليس من الواجب أن تتغير مكانتها على قدر ما تعقدت هذه المعرفة وبما تفتضيه الآن، من مراعاة معايير عديدة ومعقدة؟

2-العولمة:

لا شك في أن أبلغ مظاهر تعقيد الواقع فالعصر الراهن، هي حركة العولمة التي تريد أن تفرض نفسها وتُسيطر على جميع مجالات الحياة البشرية سواء الفكرية أو القيمية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسيّة أو غيرها، مع كل ما يترتب عليها من نتائج. ولقد جعلها "**طارق رمضان**" في مُقدمة العوامل التي تُوجب إعادة النظر في المناهج الأصولية وإن لم يعبر عن ذلك صراحة، فإنّه جاء بأمثلة كثيرة لهذه الظاهرة وجعلها مما يقتضي ذلك التجديد، ومن أهمها مثال العولمة الاقتصادية، مبينا أنّ الإنتاج الفقهي المعاصر الذي يسود العالم ويخضعهُ لنفوذه.[2] وهذا ما نستشفهُ في قوله الموالي «**بداية لابّد أن نصرح بتواضع بأنّه، ليس هناك اليوم "بديل إسلامي" يُواجه النموذج الاقتصادي الليبرالي الجديد المهيمن. إنّنا نجدُ في العالم الإسلامي انتقادات شديدة وقاسية على استباحة الرّبا والبورصة والمضاربة، وعلى التعديات التي تجري في إطار التجارة الدولية، وعلى منظومتها والشروط التي تشترط في المبادلات التجارية. إلخ، لكن حقيقة الأمر هو سوى بعضالمحاولات التي تظل هامشية جداً. أنّ النظام العالمي يفرض نفسهُ على الجميع...فلا بُد هنا من تجديد شامل العقليات وللأصول الفلسفية والأخلاقية لهذا الاقتصاد الذي يفرض نفسهُ على الجميع اليوم**". [3]الذي يُمكن للتحليل أن يستنبطهُ من النص المنقول، أن "**طارق رمضان**" يدعو بلا منازع تجديد الفقه فهماً وتنزيلا وفق مقتضيات العصر الراهن.

---

[1]- طارق رمضان، **الإصلاح الجذري**، مصدر سابق، ص 108.

[2]- شوقي الأزهر، المرجع السابق، ص101.

[3]- طارق رمضان، **الإصلاح الجذري**، مصدر سابق، ص319-318.

3–تطور العلوم: لاشك أن تطور العلوم ساهم كثيرا فيت عقيد الواقع، بحيث جعل العالم المعاصر يتغير حتى لا يكاد يشبه العقد الذي يليه. ويرى "**طارق رمضان**" أنّ هذا التطور في العلوم عامل مهم من العوامل التي توجب إعادة النظر في أصول الفقه،[1] حيث يقول" **إن كتلة العلوم التي تراكمت خلال القرون الأربعة الأخيرة وخاصة، وبدون شك، خلال القرن العشرين هي هائلة حقا. وهذه الثورة العلمية كان لها أثر على جميعالتصرفات البشرية وعلى تطور المجتمعات بشكل عام. فالإنسان أصبح يفهم الواقع بشكل أفضل، لكن في نفس الوقتتعقد (هذا الواقع) وكشف عن أبهر مُحيطه من المجالات التي تزال تستدعي التأمل والاكتشاف... وهذا الانقلاب أوجب بطبيعة الحال أن يتخصص العلماء بدقة مُتزايدة حسب المجالات العلمية المختلفة وحتى داخل كل مجال بعينه**".[2] ومبعث التقرير السالف، أن حال العلوم الإنسانية الطبيعية قد تعقد إلى درجة أنّ المعارف توصف بالدّقة والمطلقية، والتي كانت تكتسب طابع الثبات واليقين، قد تزعزعت أمام تطورات العلوم المعاصرة، ولهذا أصبح من الضروري أن يعاد النظر في طبيعة العلاقة التي وضعها العلماء بين المصادر النصية والظروف الاجتماعية والعلمية. فكل ما نعلمهُ الآن عن الحمض النووي والخلايا والأنسجة الحيّة والأجنة إلى وظيفة المخ وحالات الموت السريري مثلاً، لهُ أثر مباشر على الآراء الفقهية المتوقع إنشائها في خصوص الحالات العامة أو الخاصة: من المعالجات الجينية إلى الاستنساخ ومن الإجهاض إلى الإماتة الرحيمة، فلا يمكن إصدار فتوى لا تُراعي وضع المعارف المعاصرة. ولاشك أنّ العلوم الإنسانيّة لا تقل في هذا التعقيد، فهي ليست علوما دقيقة ونهائية، إلا أنّ مجالاتها المختلفة تأتي بإضاءات ينبغي معرفتها واستيعابها في إعداد الأحكام الأخلاقية التي تُوجه السلوك البشري الفردي والجماعي.

وقد جاء "**طارق رمضان**" بأمثلة في مجالات مُختلفة تُبين ما يقتضي تجديد أصول الفقه في نظره من تعقيد للواقع عموما وعولمة وتطور العلوم خصوصاً، ولا يتسع المجال للإتيان عليها كلها،[3] فلنختم هذا العنصر بقوله "**لما نقرأ المؤلفات التي ينتجها العلماء والمفكرون والمسلمون المعاصرون، ولما نجول في المجتمعات الإسلامية... لا يسعنا إلا أن نُلاحظ حالة أزمة عميقة ومعممة. فالفكر مستعصي عن التجدد، ورؤية المشروع الاجتماعي جزيئة ومجزأة، والتحديات المطروحة من قبل هيمنة الغرب الاقتصادية والثقافية يبدو غير ممكن التغلب عليها، وتفكك المؤسسات السياسية يبدوا لا رجعة عنهُ، والمجتمع المدني مشلول، فإنّ أنساق الفكر الإسلامي القديم لم تعد كافية لمواجهة هذه التحديات ونشعر في كل مكان أنّنا نتوصل إلى نهاية مرحلة نتمنى أنّها تُبشر بتجديد، أقصد سبيلاً إلى الإصلاح**".[4]

2/3–تحول البراديغم وملامح النموذج البديل: أو نحو براديغم فضاء الشهادة.

يُؤسس "**طارق رمضان**" نموذج بديل "**لدار الكفر ودار الإسلام**" والذي أضحى أقلّ تفسيرية لتغير السّياق الزماني والمكاني، ويسعى إلى تقديم رؤية بديلة.

وما يمكن أن نستنتجه من الإيراد السابق، أن شخصية الإنسان وهويته مُركبة ومتعددة الأبعاد، ويحتلّ كل بعد منها الأولوية حسب الحالة والسياق، مما يوجد تنوعا وثراء في الشخصيةّ، ينفي أي انفصام وتعارض فيها، لذا وبذلك يتجاوز تعريف" **طارق رمضان**" للمسلم الأوروبي كل اختزال للهويّة أو تحجيمها في بعد ديني أو مذهبي أو ثقافي أو سياسي.

1–القدرة التفسيرية لنموذج فضاء الشهادة:

استنادا لما سبق بيّانه في التحليل، نرى أن "**طارق رمضان**" قد قدم لنا تحليلاً لنموذج «**دار الفكر ودار الإسلام**"، وحاول تأسيس "**لنموذج البديل**" من منطلق فكري فقهي، على خلاف أغلب العلماء الذين عاشوا الأزمة نفسها، إذ كانت طروحاتهم فكرية بالدرجة الأولى، والمتأمل في نموذج «فضاء الشهادة" نجده متسق تماما مع النظام العالمي الراهن القائم على "العولمة"، حيث لم تعد تحده حدود جغرافية أو إقليمية. ليس هذا فحسب،

[1]– شوقي الأزهر، المرجع السابق، ص107.

[2]– طارق رمضان، **الإصلاح الجذري**، مصدر سابق، ص151.

[3]– المصدر نفسه، ص152–153.

[4]– المصدر نفسه، ص154

بل إن "مفهوم الشهادة" يجعل المسلم في الغرب يوظف الأطر القانونية المتاحة من الحق في المواطنة، وحرية أداء العبادة والمعتقد، توظيفا فاعلاً إيجابيا، لا مجرد تبرير قانوني لوجوده في الغرب. كما أنه يشعر مفهوم "المسلم الأوربي" بالأمان، ويُنمي فيه حس الانتماء إلى بيئته ووطنه. ومن جهة أخرى يدفع هذا النموذج المسلم الشاهد إلى إدراك الدين الإسلامي في عمقه، وتوليد الفهم وتجديده حسب السياق الذي يعيشه، دون الحاجة إلى استيراد أراء فقهية من سياق مختلف.

وزيادة على ما أوردناه، فإن المتمعن في نموذج "**فضاء الشهادة**" يجد أنه يُخرج المسلم من منطق الصراع، والرؤية الثنائية المختزلة (سلم أو حرب)، (إسلام أو كفر) إلى دور إيجابي بنائي تشاركي. كما أن وجوده في الغرب فرصة لتلاقح الدين الإسلامي بالثقافة الأوروبية.

وفي الأخير نُشير إلا أنه بالرغم من الطرح الذي قدمه "**طارق رمضان**" في مختلف المصادر والمقالات، والمحاضرات، حول النموذج البديل، وعلى أهميته. إلا أنه يبقى طرحا فرديا لم تظهر بعد إسهامات مفكرين وفقهاء أوربيين فيه. فقدرات التفسيرية لهذا النموذج البديل مرهونة بمدى قدرة "طارق رمضان" على تشغيله في أنساق نظرية مختلفة، وبمدى إمكانية التفاف جماعة علمية حوله (إمكانية تجاوزه لفكر "العالم" الفرد إلى حركية الجماعة العلمية". متناغمة مع السياق الزماني والمكاني والجيوسياسية في الغرب والعالم بأسره. لتحقيق حضور إسلامي فعال. إن هذه الأفكار التي يقترحها "**طارق رمضان**"، والتي نفترض أنها تمثل براديغمات معرفية بديلة، قد تكون أكثر تفسيرية للسياق الغربي، ويمكننا بسط معالم هذا النموذج كالآتي:

2-مفهوم فضاء الشهادة:*

يرى "**طارق رمضان**" أن توظيف مصطلح "**الدار**" غير متناسب تماما مع السياق الحالي فهو يوحي بإمكانية وجود وحدة جغرافية قابلة للانغلاق ذاتيا، غير متأثرة بظروف الزمان والمكان، كما كان عليه الوضع في الماضي، وهذا مالا يمكن تحققه في إطار «العولمة" لذا يوظف "**طارق رمضان**" فضاء الشهادة عوضا دار الشهادة.

وإذا رجعنا وراجعنا كتاب طارق رمضان الموسوم "[1]ب:(**Dar Asch-shah ada**: **L'occident espace detémoignage**)، لألفينا **نموذج الشهادة**، يمتلك مقومات معرفية عدة، مما تجعله براديغما أن يكون بديلا عن النموذج المهيمن "**دار الحرب ودار السلام**"، وتتمثل هذه المقومات في:

1- الوعي بمسؤولية المسلم المحورية وهي "الشهادة" على الناس بوحدانية الله سبحانه وتعالى ليكون فعل المسلم، وحاله، وحضوره بينهم، دعوة وتذكير لهم بالصلة بالله وأخلاق الإسلام وكرامة الإنسان.[2]

2- ينص نموذج "**فضاء الشهادة**" على الذاتية في "الفكر والفعل"، لذا فالمفكر "طارق رمضان" يدعو إلى قراءة توليدية اجتهادية للنصوص الشرعية وفق البيئة التي يعيشها فيها المسلم في الغرب، ولا يتسنى ذلك إلا بفقهاء وعلماء ولدوا من رحم السياق الغربي، ليتولوا مسؤولية الإجابة عن الأسئلة المعرفية المرتبطة بالنسق الأوربي الأمريكي.[3]

3- مفهوم "**الدعوة**"، في ظل نموذج "**فضاء الشهادة**"، هو بيان "**مقتضى الأحكام الإسلامية لكل المجتمعات الإنسانية، وتنزيلها عمليا، فاعتناق الناس الإسلام ليس من أولويات المسلم" الشاهد"، بل مسؤوليته تتجسد في التمثل العملي الصحيح للإسلام، فالشاهد على هذا**

---

* - مفهوم فضاء الشهادة: لغة :(شهد): أصل يدل "على الحضور "،"والعلم"، "والإعلام"

[1] - Taraq Ramadan ; **Dar Asch-shah ada**, L'occident, espace de témoignage, op.cit.P69

[2] - طه كوزي، المرجع السابق، ص144.

[3] - المرجع نفسه، ص145.

ليس قاضيا يحكم على غيره بالإيمان أو بالكفر، ولا يتصف بالقدسية باعتباره مسلما، وإنما هو جزءا من الأمة التي هو شاهداً عليها، ودوره قيادة تغيير إيجابي تشاركي غير إقصائي في وطنه مهما كانت الأغلبية الدينية فيه".[1]

4- تقوم"الشهادة" على احترام الخلق كلهم وحفظ كرامتهم، لأن الإيمان في أعمق دلالته أمانة، لذا فمسؤولية الشاهد المحورية تنص على أن من تمام إيمان المرء وإسلامه، احترام إنسانية الإنسان، والوفاء بمقتضى العقود والعهود(المواطنة) بينه وبين بني البشر.[2]

ثانيا: براديغم التركيب ونقد مرتكزات النموذج التقليدي وفق منظور إدغار موران*:

1/ _ نقد النموذج المعرفي التبسيطي:

يرى "**إدغار موران**" في سياق معاينته لمنظومة المعرفية الغربية، هيمنة منظومة التبسيط، أنطولوجيا ومنطقيا وابستيمولوجيا، وأنثروبواجتماعيا وسياسيا، وقد وضح ذلك على النحو الآتي: "**أنطولوجيا، تأسست هذه المنظومة على كيانات مغلقة مثل الماهية والهوية والسببية (الخطية)، والذات والموضوع، "منهجيا، قامت هذه المنظومة على منهجية علمية واختزالية وكمية، فهي اختزالية مادام يتوجب الوصول إلى الوحدات الأولية...ومنطقيا اتجهت نحو تأسيس منطق توازني...عن طريق طرد التناقض والتيه، أما ابستمولوجيا، فلقد لعبت منظومة التبسيط دوما الدور التحقق الأنثروبوإجتماعي والسياسي"**[3]، إن التمعن في النص السالف، يخرج بتصور مفاده، أن منظومة التبسيط قد شكلت، لا وعي الغرب وحكمت نظرياته وخطاباته، هذه المنظومة التبسيطية التي بدأت تباشرها منذ أن انفصل العلم عن الفلسفة في القرن السابع عشر، وثبتت خصوبتها وشرعيته مع التأسيس الفيزيائي والمقاربة الفلسفية التي بدأت مع "ديكارتRené Descartes " وبلغت مرحلتها القصوى مع الوضعية المنطقية[4].

وما تجدر الإشارة في هذا السياق، أن هذا البراديغم القديم يُعلى، دائما من شأن الحذف والإقصاء على حساب الدمج، الاختزال على حساب التمديد، والاستقلال المطلق على حساب التبعية النسبية، وفي هذا يقول "إدغار موران": "**العلم الكلاسيكي يتأسس على فكرة أن تعقيد عالم الظواهر يمكن ويجب، أن ينحل بالانطلاق من مبادئ بسيطة وقوانين عامة، كذلك أن التعقيد ما هو إلى ظاهر هذا الواقع، والبساطة هي عين حقيقته، وفي حقيقة الأمر، أن براديغم التبسيط، الذي يتمتع في الوقت نفسه بمبدأ التعميم، مبدأ الاختزال، ومبدأ الفصل، هو البراديغم الذي يوجه المعقولية الخاصة للمعرفة الكلاسيكية**"[5].

ويمكن أن نفكك نموذج التبسيط إلى جملة من المقولات، كانت كلها محل نقد شديد من طرف **موران**، لما كان لها من انعكاسات سلبية ترجمت على ساحة الواقع العلمي على شكل أزمات خانقة، ومن هذه المقولات.

---

[1] - Taraq Ramadan ,**Dar Asch-shah ada** L'occident, espace témoignage, op.cit. P67-68

[2] - Taraq Ramadan, Being a European Muslim: http://www.youtube.com//watch?V:M7GAAGFO&fe: outer: related

*- إدغار موران من مواليد باريس 1921م، مدير بحث في المركز الوطني للبحث العالي CNRS ورائد للفكر التعقيد، وكاتب للعديد من الإصدارات السيسيولوجيا والفلسفة أهمها: الإنسان والموت L'homme et la mort، مدخل إلى سياسة الإنسان Introduction a une politique de l'homme، المنهج (6 volumes) le méthode، العلم والوعي Science avec conscience.

Ramadan, l'éthique aujourd'hui entre théorie et pratique : Elle Borane, Voie : Edgar Morin Et Taraq 2014.

[3]- إدغار موران، **الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب**، ترجمة، أحمد القصوار ومنير الجحومي، دار توبقال للنشر، المغرب، 2004، ص 8.

[4]- يوسف تيس، **التصورات العلمية للعالم (قضايا اتجاهات في فلسفة، العلم المعاصرة)**، ابن النديم، الجزائر، 2014، ص 257.

[5] - Edgar Morin, **Science avec conscience**, seuil, Paris, 1990, p 306.

النظام: نشأ مفهوم "النظام" عن "**التصور الحتمي والميكانيكي للعالم، وكان يقوم على فرضية أن أي ظاهرة من ظواهر الطبيعية يحكمها قانون ثابت يمثل حقيقة تلك الظواهر، ويمكن للعقل اكتشافه، والاعتماد عليه في تفسير الظاهر وتنبؤ بها، كما كان يعتبر النظام كنتيجة لجهلنا المؤقت، ويوجد وراء هذا النظام الظاهر نظام خفي يتطلب الاكتشاف. وفي هذا الطرح، إقصاء للفوضى والصدفة واللايقين وتهميش لها كحقائق**".[1]، لكن هذا الطرح لم يلبث كثيرا أمام نتائج العلم المعاصر فلقد تم التشكيك في فكرة النظام الكلي أولا من قبل الديناميكية الحرارية التي اعترفت بوجود اضطراب جسيمي غير منظم في الحرارة، ثانيا من قبل الفيزياء الجزئية، وثالثا من طرف الفيزياء الكوسمية، وحاليا من طرف فيزياء الفوضى، توقفت فكرة النظام واللانظام عن التنافي بإطلاق: يمكن من جهة، أن يتولد نظام تنظيمي من شروط مجاورة للتدوم، ويمكن من جهة أخرى، أن يتولد اللانظام من الحالات الأولية المحددة.

والأهم أن فكر التركيب لا ينحو نحو، استبدال فكرة اللانظام بالنظام، بل انه يهدف إلى خلق حوار منطقي بين النظام واللانظام والتنظيم.

1/1–القابلية الانفصال:

وهو يناظر مبدأ الديكارتي، مفاد هذا الأخير "**أن دراسة الظاهرة أو حل المشكل يستلزم تفكيكه إلى عناصر بسيطة، ترجم هذا المبدأ، في المجال العلمي، من جهة إلى التخصص، ثم إلى التخصص الدقيق في الميادين المعرفية، من جهة أخرى إلى فكرة إمكان اعتبار الواقع الموضوعي بغض النظر عن الملاحظ، والحال أنه منذ ربع قرن تطورت "علوم نسقية" تربط ما يدرس بشكل منفصل من قبل العلوم التقليدية، يتكون موضوعها عبر التفاعلات بين العناصر وليس عبر فصلها**"[2]

2/1–الاختزالية :

يرى "**إدغار موران**" في هذا الصدد، أن عمل البساطة يمكن إما في فصل ما هو مرتبط (الفصل) كما تم بيانه آلفا، أو توحيد ما هو متعدد، حيث أن المعرفة العلمية كانت دائما تنحو نحو البحث عن وحدات بسيطة لشرح الحقيقة، هذا ما أدى بها إلى اكتشافات مغرية: ففي الفيزياء مثلا اكتشفت الجزيء والذرة، أما في البيولوجيا اكتشفت الخلية والجينية، و ADN، لكن البحث الخاص بما هو أساس أصبح مقلقا، وعليه كل ما كان لا يتناسب مع المخطط الميسط كان إما مخنوقا (مختنقا) وإما ملغى، فالاختلاف، والخطر الاستثنائي، هي عناصر كانت فارقة في مفاهيم إحصائية واحتمالية، أو مرفوضة كبقايا غير علمية ، هذا الاختزال حسب تصور "**موران**" مفقر بالنسبة للمعرفة لأنه يترك جزئ من الحقيقة غير مكتشف[3].

حيث تقترح علينا النزعة الاختزالية أن كل المستويات التي يبدو بها الواقع. إن هي إلا "**ظواهر خالصة والجوهر العقلاني للواقع معتم بصورة هذه المستويات المختلفة وتفاعلاتها (حيث أن التعقيد يخفي البنية العقلانية للوقائع)ويمكن أنيختزل إلى حركة وتصرفات الأجزاء المشكلة للعالم وغير القابلة للاختزال، إن هدف العلم هو جعل العالم أبكما وتحويله إلى جبل من القطع العنصرية. من أجل إعادة بناء الواقع وتوضيح الطابع الظاهري للمستويات البادية أمام أعيننا**".[4]

3/1–نقد المنطق والعقل المطلق:

كان العقل التقليدي يقوم على المبادئ الثلاثة: الاستقرار والاستنباط والهوية (أي رفض التناقض)، وجهت أول ضربة قاضية للاستقراء، الذي يسمح باستنتاج قوانين عامة من حالات جزئية، من طرف كارل بوبر، فقد أصاب هذا الأخير عندما أقر باستحالة استنتاج قانون عام من قبيل "كل بجع أبيض" لمجرد أننا لم نجد أبدا بجعا أسود، لاشك في أن الاستقراء له قيمة تفسيرية لكن ليس له قيمة البرهان القاطع يبين برهان عدم التمام لكورثغودل

[1] – إدغار موران، **نحو نموذج جديد**، ترجمة: يوسف تنس، مجلة رؤى تربوية العدد 29، ص 119.

[2] – إدغار موران، المصدر نفسه، ص 119.

[3] – Edgar Morin, **connaissance ignorance mystère**, Edition, Gallimard, Paris, p18, 19.

[4] – Giorgio Israël, modèle ? In : **le modèle et le récit**, les éditions de la MSH, 2007, p 416.

(Gödel)أن النسق الاستنباطي المصورن،[1] لا يستطيع البرهنة بإطلاق على صحته ذاتيا، والشيء نفسه برهن عليه **ألفرد تارتسكي** في المنطلق الدلالي: لا نسق يتوفر على الوسائل الكافية لتفسير ذاته، من الممكن أن نجد في بعض الحالات برهانا أو تفسيرا في الأنساق الفوقية، لكن هذه الأخيرة تتضمن هي نفسها ثغرات*.

وأخيرا، أدت تطورات "**بعض العلوم من قبيل الفيزياء الذرية أو الفيزياء الكونية، بشكل تجريبي وعقلاني، إلى تناقضات يستحيل تجاوزها، كما هو حال الطبيعة الظاهرة للذرة (المادة/جسيم)، وتلك الخاصة بأصل الكون والمادة والزمان والمكان**".[2]هكذا، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع الاستغناء على المنطق الاستقرائي –الاستنباطي التماثلي، فإنها ليست مع ذلك سبيلا لليقين والبرهان المطلقين، لا يطالب الفكر المعقد بترك هذا المنطق، بل بتآلف حواري منطقي.

2/–نحو براديغم التركيب كتحدي للمعرفة:

إن التركيب* (**complexes**) يعني «ما نسج ككل" أو "متصل"، من المكونات المتوافرة المجمعة بشكل يتعذر معه التوفيق بينهما، إنه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد[3] وهو ما نستشفه في القول الموالي: "**التعقيد هو نسيج (منسوج ككل) من المكونات المتوافرة المجمعة بشكل يتعذر الفصل بينهما، إنه يطرح مفارقة الواحد والمتعدد... إن التعقيد هو نسيج من الأحداث والأفعال والتفاعلات والارتدادات والتحديدات والمصادفات التي تشكل عالمنا الظاهري**"[4].

إن الفكر المركب هو فكر يربط من جهة بالسياق، ومن جهة أخرى يحاول أن يبين ماذا نقصد بالنسق، ولتوضيح ذلك نقول إنه إذا أردنا التفكير بشمولية المجتمع لابد النظر في علاقة الأجزاء والكل.

ولعل الطرح السابق، يزداد وضوحا، عندما نقول إن النسق الاجتماعي هنا في معناه، هو مجموعة أفراد تتفاعل بعضها مع بعض بهذا التفاعل ينشأ الكل الاجتماعي، والذي ينتج كلاما يكون ثقافة، قبل ذلك وفي زمن بعيد كانت هناك مجتمعات بدائية تمتلك تنظيمات دون المستوى، ثم ظهرت الدول والقوانين...إلخ.

هذه الميزات الجيدة طغت على السطح وبرزت، تفاعل بها الأفراد وزودتهم بقدرات القراءة، الكتابة، والحساب، بفضل الثقافة، والتي بدورها تزود بالتربية، منهجية أخرى الكل يشمل طاقات خاصة بالأجزاء التي يعتبرها منحرفة أو جانحة.[5] وحتى لا نوغل في معرف التعقيد، علينا أن نعرج على ذكر مبادئ التي يقول بها براديغم التعقيد، والتي هي:

1/2– مبدأ الحواري:Dialogique

وهو المبدأ الذي يسمح بالتعرف على الظواهر التي يجب الجمع بين مفاهيم متعارضة، متناقضة، ومتكاملة من أجل فهم حقيقتها، ويمكن أن نأخذ على هذا مثالا من مبدأ التعقيد، ويكون ذلك أننا عندما نسلط الضوء على هذا المبدأ في حد ذاته نرى أنه يقوم على تصورين متناقضين: البسيط

---

[1]– يوسف تيبس،معيار العالم أو القابلية للانفصال، **مجلة عالم الفكر**، المجلد 37، العدد 02، 2008، ص 112.

*– وتوضيح ذلك أنه مثلا إذا أردت أن أعرف مجتمعي بإمكاني أن أقارن بين المجتمعات المعاصر أو أن أدرس المجتمعات القديمة المناقضة، ولأستطيع أن أتخيل مجتمعات "ممكنة «، وهو ما يسمح لي بإنشاء نوع من الشرفة أستطيع أن ألاحظ انطلاقا منها، مجتمعات أخرى خارجية مع البقاء داخل مجتمعي، غير أنه لا يوجد أبدا نسق فوقي نظري يمكننا من تجاوز وضعنا الاجتماعي أوضعنا الإنساني، أي يجعل منا كائنات فوق اجتماعية أو فوق إنسانية.

[2]– إدغار موران، **نحو براديغم جديد**، مصدر سابق، ص 120.

[3] – Edgar Morin, **pensée global**, l'homme **et son univers**, éd, Flammarion, Paris, 2016, P 116.

[4] – Edgar Morin, **Introduction a la pensée complexe**, Edition du seuil, Paris, 2005, P 21.

[5] – Edgar Morin, **pensée global**, op, cite, P 116, 117.

والمركب، حيث يوجد بينهما علاقة تكامل وتنافس في الوقت ذاته. وبهذا المبدأ الحواري يمكننا من الحفاظ على التعارض داخل الوحدة، أنه يجمع بين حدين متكاملين ومتعارضين في الوقت ذاته[1].

2/2–مبدأ الارتداد التنظيمي:Récusions organisationnelle

وهو المبدأ الذي يسمح بالتعرف على السير ورات التي تُكون النتائج وآثار ضرورية لإنتاج الأسباب التي أوجدتها، وبالتالي فإن هذا المبدأ يعتبر قطيعة مع فكرة الخطية القائمة على السبب والنتيجة، فكل ما يتم إنتاجه يعود على ما ينتجه داخل حلقة في ذاتها تشكل وتنتظم ذاتها وتنتج ذاتها ذاتيا، ومثال ذلك أن المجتمع هو نتاج تفاعلات بين الأفراد المشكلين له والمجتمع ذاته، ككلية منظمة، يرتد لينتج الأفراد بواسطة التربية واللغة والمدرسة، بذلك فإن الأفراد يقومون في قلب تفاعلاتهم بإنتاج المجتمع الذي ينتج بدوره الأفراد الذين ينتجونه، وكل ذلك يتم داخل مدار لولبي في قلب التطور التاريخي[2]

3/2– مبدأ الهولوغرامي: hologrammique Principe

هو المبدأ الذي يسمح بإدراج الجزئي داخل الكل، ووجود الكل داخل الجزئي، وهذا المبدأ يوجد في العالم الفيزيائي مثلما يوجد في العالم البيولوجي، وكذا في العالم السيسيولوجيا، **فداخل كل "هولوغرام فيزيائي، يمنع أصغر نقطة من مجموع الهولوغرام تقريبا كل المعلومات الخاصة بالموضوع الممثل، وهو المبدأ الذي يسمح بالتعرف على أن كل ما هو معقد، لا يكون فيه الجزئي فقط داخل الكل، بل وكذلك أن الكل يوجد داخل الجزئي**"[3]، وكمثال على ذلك يرى بأن **"موران"** بأن كل خلية من جهازنا العضوي (الجزء) تضم مجموعة المعلومة الجينية لهذا الجهاز العضوي (الكل)، لهذا كان هذا المبدأ أبرز أداة ضامنة لتجاوز النزعة الاختزالية التي لا تدرك ولا تركز سوى على الأجزاء.

ففي كل مرة تكون لدينا فيها قضية لمجموع مركب، لا يمكننا أن نحلم بمعرفة شاملة تامة ومطلقة، إذ يبقى دائما جانب غير يقيني متروك للصدفة، ولحدود المعرفة، مما يفيد أن ليس هناك معرفة كاملة أبدا، ولنأخذ بعين الاعتبار التفاعلات فيما بين المحيط الطبيعي والنشاط الإنساني، فالإيكولوجيا على سبيل المثال، بالمعنى الكامل للمصطلح، وهي علم مركب، والذي لا يفتأ يتركب على مر الأيام، دون أن يكون علما كاملا، بنفس المعنى، فالأمر يتعلق بحسب[4] تصور "موران" "**بالعيش بإحساس لا محدودية المعرفة وتحولها**".[5]

إذ يتبين مما سبق، أن "إدغار موران" يطرح تحليلات حول المصير وتميز صيرورة العالم بالاعتماد على منهج تركيبي في قراءة الأفكار وتفسير الظواهر، ووفق هذا التصور التركيبي، يحاول **"موران"** الوقوف عند منظومة المعارف التقليدية تعني منظومة التبسيط والاختزال لمختلف الحقول المعرفية، ليرسم مسارا تفكيريا يتبنى إبستيمولوجيا مركبة تؤسس لمنهج جديد ومنطق جديد، كي تتوضح الصورة الحقيقية للزمن في تداخلاته وللمعرفة في تشتتها وللواقع في أبعاده باعتباره حركة صيران غير يقينية وغير معلومة، "**حركة تميز قوامها التركيب والتعقيد حيث لاوجود لعامل يمكن اعتباره ثابتا بشكل دائم ومستقر ولا وجود لشيء يمكن التكهن به بشكل يقيني، وحيث كل شيء ينبغي توقعه وفق شروط، بهكذا صيغة، أراد "إدغار موران" إرساء مشروع لفكر بديل قوامه المنهج المركب عوض المنهج التفكيكية ونظرة التعقيد بدل نظرة التبسيط والرؤية المتعددة الأبعاد**

[1]– إدغار موران، **الفكر والمستقبل**، مصدر سابق، ص 75، 87.

[2]– المصدر نفسه، ص 74، 75.

[3] – Robin Fortin, **comprendre la complexité**, **dans l'introduction qui est écrite par Edgar Morin**, 2000, P 16.

[4]– توماس زونبي، إدغار موران، رائد الفكر المركب، **مجلة العرب والفكر العالمي**، العدد 33، 34، شتاء 2015، ص 134.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بدل الرؤية الاختزالية الأحادية، جاعلا بذلك من فكرة تركيب الظواهر نموذجا في التفكير والرؤية جديدة للعالم والإنسان وفق نظرة تركيبية استرجاعية واستشرافية عكس النظرة التبسيطية"[1].

"أن أربط، إذن أنا موجود" بهذا الشكل يمكن أن يصاغ كوجيطو إدغار موران، لم يتوقف عالم الأنثروبولوجيا، منذ أكثر من نصف قرن عن لعب دور العابر بين العلوم والإنسانيات، ذلك أن ما يسم العلم المعاصر هو تعدد الاختصاصات العلمية وتداخلها، الأمر الذي يبرر إنشاء علم مركب يجعل من النسق مفهوما محوريا[2]. نفهم اعتبار للسياق المعروض، أن من معاني براديغم التركيب حسب **موران**، هو الوعي بقيمة الأفكار في حياتنا وعلاقتنا مع الغير، وتستمد تلك الأفكار قيمتها من انتظامها وتفاعلها مع الواقع في جميع مستوياته، وهي تموت حينما تتجرد من أصلها الإنساني[3].

ثالثا: نحو براديغم الاعتراف كمقاربة بين الرؤيتين الإسلامية والغربية.

1_ نحو رؤية مغايرة في براديغم الاعتراف: حوارية المعارف وتعايشها.

نفتتح هذا العنصر بمقولة هادفة ومعبرة عن ضرورة المعرفة في حياة الإنسان، حيث يقول "**إمبرتومارتورنا**"،"**تقمحنا معرفة الحياة في حياة المعرفة بشكل حميمي رائع: إن العيش باعتباره صيرورة هو صيرورة المعرفة**"، مما يعكس وظيفة الإنسان الذي ولد ليعرف وحاجته الملحة والدائمة للمعرفة[4].

ولهذا فإن **موران** يدعونا دائما في مشروعه الفكري والفلسفي إلى الأخذ بالمبدأ الأساسي، ألا وهو : معرفة المعرفة، ذلك أن الأزمة أو الانعطاف الوجودي الذي حدث في الغرب نتيجة التضحية بالثوابت الأنطولوجية الأصلية بدءا بالإله(**موت الله عند نيتشه**)، فالإنسان(**موت الإنسان عند فوكو**)، وصولا إلى الواقع(**موت الواقع جون بودريار**)، قد أحدث هزة عميقة في نمطه المعرفي جاعلا الإنسانية باللغة "**إدوارد ويلسون**" "**تغرق في المعلوماتفي الوقت الذي تموتفيه جوعا إلى الحكمة**"، فبالرغم من هذا الإثراء العظيم للمعرفة وللحكمة ، نجد في نفس الوقت أن المعرفة أصبحت بتوصيف **–إدغار موران**–معرفة معلولة، والتي يقصد بها تلك المعرفة التي تجزئ العلوم والحياة أو تقطعها قطعا ، حيث تتبدى مفصولة عن بعضها، وممتنعة عن التواصل فيما بينها، فكل علم من العلوم يقدم ذاته على أنه يمتلك الكفاءة التفسيرية للكون وللحياة، فعلم النفس مثلا، لا يرى من الحياة مجرد منظومة من الدوافع البيولوجية واللاشعورية للفردية والمجتمع، وعلم الاجتماع يرتكز على قوة السلوك الاجتماعي في عجنه للذوات الفردية التي تنتمي إلى فضائه، والعلوم الأخلاقية التي تبصر في السلوكات الحية نماذج أخلاقية توجهها قيم الفضيلة نحو الخير، والسياق الوصفي ينطبق كذلك على المعارف الإنسانية برمتها.

فقد تم إحداث قطيعة أبستمولوجية بل وأنطولوجية بين "**الإنسانيات والماديات بين أحكام الواقع وأحكام القيم، بين الذات والموضوع، بين التأمل والمعرفة ومناط هذا أنه تم دراسة الدماغ في شعب العلوم العصبية، ودراسة العقل في شعب علم النفس، ودراسة الثقافة في شعب علم الاجتماع، ودراسة المنطق المتحكم في المعرفة في شعب الفلسفة**"[5].

فلقد تطور العلم الغربي في اتجاه أحادي، فتحول إلى مؤسسة اعتقادية مستقلة عن العناصر المعرفية الأخرى، فنفي الدين والثقافة، بل أصبح هو ذاته دينا وثقافة، بل ومنظومة مرجعية صارمة ومحددة، وسينتج عن هذا الدين الجديد معرفة ترسخ فهم الإنسان والطبيعة على أساس مادي محض، وبالوصول إلى عدمية "نيتشه"، ستغيب طبيعة الإنسان، أو ما سيسميه"**إدغار موران**"،"الأنموذج المفقود" **le paradigme perdu**"،أو

---

[1]– أنظر، إدغار موران، **الفكر والمستقبل**، مصدر سابق، ص 34.

[2]– توماس زونبي، المرجع السابق، ص 130.

[3] – Voir, Edgar Morin, La vie de la vie.

[4]– إدغار موران، المنهج، **معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة ج3**، ترجمة يوسف تيبس، المغرب، إفريقيا الشرق، 2013، ص54.

[5]– إدغار موران:**المنهج، الأفكارج4**، ترجمة يوسف تيبس، المغرب، إفريقيا الشرق 2013، ص423-424.

"الكوكب التائه""**Astre errant**"، في كتابه" la terre austèrement, le monde"، كلنا أصبحنا فيه غرقى كما يقول المفكر"serge l'attoucher" في مؤلفه(La plan, te des naufrage la découverte)[1] ، فالعلم أصبح أعمى ولا يرى طبيعة مصيره ولا مساره ولم يعد يفكر حسب هيدغر[2].

ولتجاوز هذا الوضع المحرج الذي وصل إليه العلم الغربي، بدأ بتوجه جديد يشق طريقه مخلخلا البنية الفلسفية المادية لنظرية العلم الغربي ذات النزوع الوضعي المتطرف. فبدأت الأفكار الجديدة "**مع" هاينزنبرغ" منذ 1925، وتطورت مع"باولي"، و"أنشتاين"، و"بور"، وتعمقت الأفكار اليوم مع"كابر"، "فايرابند"،"باشلار". بالإضافة إلى المؤتمرات والملتقيات، التي تجمع نخبا من كل التخصصات ومن كل الثقافات، لإعادة طرح معادلة العلم والإيمان، ووحدة المعرفة الدينية والعلمية، وعلاقة الثقافة والعلم، وتكامل المعارف وتداخلها. وتكامل المعارف وتداخلها**".[3]

إضافة إلى ذلك، يحاول **موران** استنباط مسيرة فكرية جديدة متمثلة في الفكر المركب كفضاء للحوارية المعارف وتعايشها، يهدف هذا الفكر إلى" **تحطيم أحد مظاهر الفكر التبسيطي وهو الفصل بين العلوم، والانتقال إلى المعرفة متعددة الأبعاد، من أي طموح وهمي إلى تحقيق المعرفة الكاملة، كما أنه يسعى إلى تأسيس معرفة واحدة :دمج المعارف المتخصصة في معرفة عامة لا تلغي خصوصية العلم الواحد. فالإنسان مثلا كائن بيولوجي واجتماعي ووجداني وغريزي وأسطوري وعقلاني في الوقت نفسه**".[4]

ويقوم الفكر المركب على التعقيد، باعتباره مفهوما مركزي، تدرس من خلال العلاقات المستعصية بين المستويات المعرفة التجريبية والمنطقية والعقلية، عندها يصبح التعقيد أداة مفهومية لرفع التحدي المعرفي، بل وتجاوزه عبر تنظيم في شكل نسق وإدراك تطور العلم نفسه، وتجنب الاستعمال المنحط للعقل الذي أوصل البشرية إلى تقدم أعمى غير متحكم فيه، ويرجع أغلب أفكار **موران** إلى أثار"**باسكال**" عن المعرفة المتحركة (mouvement connaissance).

ونزيد في الأمر توضيحا، عندما نشير بأن **إدغار موران**: من أبرز الباحثين في مجال تداخل المعارف، وكان كتابه (**الربط بين معارف**(**Relies les connaissances** أهم مرجع في هذا المجال، إذا كان خلاصة مجموعة من الدراسات والمؤتمرات لدراسة التداخل المعرفي، و"**تحقيق التواصل بين العلوم الحقة أو الموضوعية، والعلوم الإنسانية، وترسيخ وعي تداخلي بالظاهرة العلمية والمعرفية وأن العلوم أصبحت تتجاوز حدودها التخصصية من خلال تنقل المبادئ والمفاهيم**".[5]

وفي هذا الصدد يطرح **موران** علم البيئة* كأساس للتعايش المعارف مع بعضها البعض فهو علم جديد بطابع جديد، لأنه يجمع التخصصات عوضا أن يفرقها، ويمكن الأخلاقيات من التحاور.[6]

---

[1]- نقلا عن، محمد هام، **مداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي الغربي**، دراسة في العلاقات بين العلوم، بيروت، ط1، 2017، ص81.

[2] - Heidegger، Martin،**ou d'appelle-t-**on penser، éd، puff، Paris, 1983، p16

[3]- محمد هام، المرجع السابق، ص82،81.

[4]- المرجع نفسه، ص 82.

[5] - Edgar Morin،**Relier les connaissance**،**le défi du XXème siècle**، paris، P471.

*--علم البيئة: يقوم بدراسة الأنظمة البيئية، يعنى بدراسة الأنظمة البيئية، يعنى بدراسة تفاعلاتها مع عوالم النباتات، والحيوانات، والغلاف الجوي، والأرض، بعبارة أخرى ينطلق عالم البيئة من مختلف التخصصات ليحظى بنظرة كلية حول النظام البيئي. إن الغلاف الجوي هو بمثابة النظام البيئي، البيئية، أي منظومة شاملة نظامها الخاص، وقابلة للتطور والتحلل.

[6]- - إدغار موران وطارق رمضان، **خطورة الأفكار، تساؤلات كبرى حول قضايا معاصرة**، ترجمة محمد صلاح شياظمي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016،، ص57.

وغير بعيد عن **موران**، يعود بنا **طارق رمضان** إلى قضية أساسية تتعلق "**بكونية الإشكاليات المتعلقة بالمعرفة**" حيث يوضح أنه:

أولا: من الضروري أن تتفاعل جميع مجالات العلم، الفلسفة الأنثروبولوجيا في فهم الواقع المعقد.

ثانيا: من اللازم إعادة إدماج الرؤية إلى الإنسان والكون في الحوار بين الحضارات والفلسفات والأديان.

ثالثا :يلح **طارق رمضان** على دراسة الفلسفات والروحانيات، وتدريسها بحكم قدرتها على مسائلتنا، ذلك أن العلم قد جرد الإنسان من إنسانيته باسم اكتساب المعرفة.

رابعا:يجب كذلك اكتشاف الأديان التوحيدية، لاستيعاب نظرتها إلى الإنسان والكون ومثال ذلك: أنه "**لدينا خبراء في أدق التخصصات، لكن الرؤية الشمولية تبقى غائبة، فيمكن لخبير معين مثلا، أن يعطي إجابات علمية وأحكاما أخلاقية في مجال معين وفي موضوع تخصصه المحدد، لكن دون أن تكون له نظرة شاملة وإجمالية فيما يخص الأفاق والرهانات**".[1]

خامسا: العمل على تحقيق الحوارية والتوفيقية بين علماء الواقع وعلماء النصوص، يحاول **طارق رمضان** أن يدفع بالعلماء المسلمين إلى جلوس جنبا إلى جنب مع العلماء المتخصصين لأنهم "**يشتغلون داخل فضاء الأحكام الذي يملك سلطة على الواقع وبالتالي فإحالتهم الدينية تكون في غالب الأحيان منفصلة عن الواقع، وبعيدةكلالبعد عن اهتمامات الخبراء والمتخصصين في العالم**".[2]

سادسا: يحث **طارق رمضان** المسلم الأوربي أن يكون فكره جامعا بين الدين الإسلامي ملما بمستجدات الواقع الراهن ومدرك لتعقيدات المعارف ومنفتحا على ثقافات الآخر، كما يدعو إلى تعايش الثقافات وحوار الأديان وتلاقح الحضارات، وغيرها من فضاءات الشاملة المانحة[3].

إذن نحن منهجيا أمام طريقة في التفكير، يدعو إلى **التكامل أو ما يسمى بتداخليه المعارف**، باعتبار أن هذا النوع من التفكير، قد نشط هجرة العلوم، وحل التعايش بين العلوم محل الانقسام والتباعد. كما تقوت حركات التبادل، فظهرت حقول معرفية جديدة، كانت منغلقة لسنوات طويلة، وزاد في هذا النشاط التداخلي تقدم وسائل التقنية وتطورها، وأصبحت الحياة العقلية والفكرية والعلمية متصلة ومستمرة، تتبادل فيها المعارف التأثير والتأثر، والعلوم كلها متعاونة مرتبطة يبعضها البعض.إذ صرنا نتحدث عن أشكال التداخل بين المعارف، من خلال تتبع انتقال بعض المفاهيم والمناهج والنظريات من حقل معرفي إلى آخر، فعلى مستوى المفاهيم، فمثلا كانت المعلومة المفهوم المستخدم فقط في علوم الإعلام والاتصال، ولكن هذا المفهوم انتقل إلى العلوم البيولوجية.[4]

وما يعزز ما ذهبنا إليه، هو تأكيد "**باشلار**"، الذي يرى أن" **المفهوم يكون له معنى بقدر ما يتغير معناه، من سياق إلى آخر، ولا يعني هذا التغيير–بنظره هزيمة للعقل أو تساهلا، وإنما يبرز غنى الواقع، وما للعقل من دور فعال، كما يعتبر تقدما في الموضوعية، وتأكيدا للمقتضيات العقلية**"[5]

أما على مستوى **التداخل بين المناهج***، فخير دليل على ذلك، بما يسمى بعلم المناهج Méthodologie هو نوع من "**التكنولوجيا المفهومية التي تقبل الانتقال إلى فضاءات معرفية متعددة، وليست مقتصرة على مجال بعينه، فالمناهج–كالمفاهيم–عندما تتشكل وتستوي**

---

[1]– المصدر نفسه، ص60.

[2]– المصدر نفسه، ص23.

[3]– محمد همام، المرجع السابق، ص112.

[4] – Taraq Ramadan، **mon intime conviction**، op.cit. , 71,72.

[5]– الطاهر وعزيز، المفاهيم طبيعتها ووظيفتها، **مجلة المناظرة**، السنة الأولى، العدد الأول، 1989م، ص17.

*– فتطور الرياضيات مثلا أدى إلى تطوير كثير من العلوم الاجتماعية والطبيعية وقد أكد بوان كاريه على دور الرياضيات الجوهري في جل العلوم، فأوضح أننا حين نستخدم منهج الرياضيات في العلم، فإننا نعبر به عن خصائص قابلة للقياس بطريقة اصطلاحية بحتة، وذلك عن طريق الرموز الرياضية التي تربط الظاهر

فإنها لا تنحصر في علم واحد، بل إن الأعمال المنهجية المهمة في تاريخ العلم، هي التي تطبق في أكثر من مجال، وتبقى متنقلة طوال الوقت".[1]

ونفس الأمر متعلق بمستوى **التداخل بين النظريات*** إذ يمكن أن تنتقل النظريات من سياق ثقافي ومعرفي إلى سياق مختلف، محدثة تداخلا بين السياقين، كما نجد مثلا في علاقة الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية، حيث نشطت عمليات التداخل بين المجالين من حيث انتقال النظريات بين حقول علمية كثيرة، وقد تتبع المفكر "**إدوارد سعيد تنقل بعض النظريات من بيئة إلى أخرى، وركز على نظريات جورج لوكاتش، وميشال فوكو، وما تعرضت له في أثناء رحلتها إلى سياقات فكرية مختلفة".**[2]

المعنى المستفاد، من **براديغم حوارية المعارف**، هو تنويع وحدات التحليل للظواهر العلمية والإنسانية المعقدة، وتجاوز الرؤية التحليلية الأحادية، ذلك أنه وبواسطة تداخل المعارف وتعايشها، تنتج عنها التحام فيه الضوابط العلمية بالمطالب الإنسانية، فلم يعد العلم أمرا منفصلا عن الثقافة والعلم والحياة. وتتبعا لذلك. فإن العلم سوف يكون غير محصنا داخل أنساقه الصارمة، تحت دعاوي التخصص، أو احترام للحدود الفاصلة بين العلوم، بل يصبح البحث العلمي، من خلال المقاربة التداخلية، بحثا إنسانيا، أي في خدمة الإنسان، ومن أجل رسالته العمرانية في الكون.

2- التربية كرهان من أجل تحقيق التعايش المنشود :

يتفق كل من "**إدغار موران**" و"**طارق رمضان**" على المراهنة على التربية كسبيل للتعليم الإنسان ثقافة الاعتراف بالآخر.

نلقف عند **طارق رمضان**، نظرية حول الآخر بأبعاد مختلفة حيث يركز فيها على أربعة فروع من المعرفة، والتي يجب على المدارس أن تتصالح معها وهي: **التاريخ والفلسفة** بحكم أنها تدعو إلى البحث وفهم جوهر الأشياء، **وتاريخ الأديان** لأنه لا يمكن تجاهل دراسة المعتقدات وتطلعات المجتمعات في عالم يشهد تعددية ثقافية، إضافة إلى **الفن** لكونه تعبير عن العلاقة المبنية على أساس الإبداع والخيال، وبالتالي يجدر على المدارس أن تحتفي بالتنوع وتلاقح المحاضرات، لأن هذا الأمر سيساعد على تغيير الأشياء ويساهم كذلك في تقديم نظرة جديدة للعالم الذي نعيش فيه، كما يجب ربط التداخل بين الحضارات بتاريخ البشرية.

هكذا نجد **طارق رمضان** يصر على أن الحل يكمن في التربية والتعليم، باعتبار أن المدرسة حسب تصوره، هي التي تعلمنا تاريخ الوطن وتاريخ المشترك، وبالفعل فإن المدرسة هي التي نكشف فيها عن هويتنا، وتنمي فينا الشعور بالانتمائية لهذا فإن **رمضان** يدعو إلى ضرورة الانفتاح، وإدماج الخصوصيات عن طريق المدرسة، ذلك أن هذه الأخيرة أصبحت إقصائية، بفعل إقصاء الذاكرة المشتركة.[3]

ونستخلص من هذا، أن التعليم في أمس الحاجة إلى تدخل جذري في عدة مستويات فقد عنون **طارق رمضان** إحدى كتبه ب "**الإصلاح الجذري**"، وقد تناول في بعض فصوله بعض المواضيع والإشكاليات التي تطرق إليها **إدغار موران**في كتابه **المنهج** ذلك أن إصلاح التعليم حسب وجهة نظر **رمضان**، يكون بأن نركز اهتمامنا على غايات والمضامين، ونقل معاني المسؤولية الإنسانية والمدنية والمحلية كذلك، باعتبار أن المسؤولية تساهم بالتأكيد في ترسيخ الشعور بالانتماء والاعتراف، فالتعليم يجب أن يكون مبنيا على أخلاقيات المسؤولية[4].

بعلاقات لغة الفيزياء لكي تصبح تنبؤات، وبشكل عام يؤدي الفرض دورا بارزا في الفلسفة في شكل جداول لا تخلوا من انتظاميات، بينما في علوم الفلك والفيزياء الكيمياء نستغل الرياضيات باعتبارها أداة منهجية.

[1]- محمد همام، المرجع السابق، ص112.

*- فنظرية داروين، مثلا، جذبت باحثين في العلوم الاجتماعية والبيولوجية والأنثروبولوجيا، إذ أن جون لسيبوك استثمر نظرية أستاذة داروين في وضع نظرية أخرى للتطور الثقافي، التي كان لها أثر كبير في الأنثروبولوجيا كما استخدمت نظريات بنيوية واجتماعية ووظيفية في تطوير حقول الدراسات القانونية.

[2]- محمد همام، المرجع السابق، ص112.

[3]- إدغار موران وطارق رمضان، مصدر سابق، ص 22،26.

[4]- طارق رمضان، **الإصلاح الجذري**، مصدر سابق، ض 128.

ولهذا يعتقد **طارق رمضان** أن جوهر التعليم الحالي، يفتقر إلى الرؤية الشمولية المتكاملة، ذلك أن فحوى التعليم حاليا، يقوم على الحديث عنك، وعن أصلك وعن تصورك (هوية منغلقة)، وهذا الأمر يخلق الانقسام، الذي يدعوا إلى تمجيد الأنا ونبذ الآخر لذلك فإن التعليم لم يفقد النظرة الشمولية فقط فحسب، بل أصبح بمثابة جسم مبتور الأطراف من هذا يؤكد **طارق رمضان** بأن، نقطة قوة المدارس تتجلى في إثارة فضول التلاميذ من خلال تفعيل بعض الاستراتيجية البيداغوجية التي تحدد هوياتهم، انطلاقا من واقعهم، ونقل اهتمامهم إلى أشياء جديدة لم يكونوا يهتمون بها من قبل في جميع مواد التدريس. فالتعليم ثقافة العيش المشترك مسؤولية المدرسة أولا وقبل كل شيء[1].

أما بالنسبة **لإدغار موران** فقد خلص إلى تحديد المعارف التي تتوجب على النظام التربوي توخي إكسابها للمتعلمين من أجل تعلم ثقافة العيش المشترك الإنساني الجامع. والتي وضحها في كتابه "**الشروط السبع لتربية المستقبل**"، والتي يمكن توضيحها إجمالا وباختصار مفيد، والتي هي كالتالي:

إدراك ماهية المعرفة وكيفية الوصول إليها، والصعوبات لذلك، وأخطار الوقوع في الخطأ والوهم و"**تنمية الميل الطبيعي لموضعه المعطيات في سياقات ومجموعات وتعزيز طرائق فهم العلاقات بين الكل والأجزاء، وإدراك وحدة الإنسان في أبعاده المختلفة، البدنية، والفكرية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها، وضرورة إدراك وحدة كوكب الأرض والجنس البشري والصعوبات التي مر بها ولا يزالان : وكيفية مواجهة الشكوك التي خلفها تقدم العلوم في جميع مناحي الحياة والقبول بها حيث لا طريق للوصول إلى اليقين، وفهم الظواهر الاجتماعية وما يؤدي إليه من تنمية للتفاهم بين الشعوب، وإدراك البعد الأخلاقي وتنمية الوعي بأن الإنسان هو فرد وعضو في مجتمع وينتمي إلى الجنس البشري**"، وبضرورة تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع على أسس الديمقراطية والحقوق، وبين المجتمعات على أسس التفاهم والانتماء إلى جنس بشري مُتحد.[2]

وما يبرر ذلك، هو أن **إدغار موران**، في ثنايا كلامه عن الشروط السبع لتربية المستقبل قد أقر، أن شرطنا الإنساني شرط معقد، ومعنى ذلك أننا لسنا فقط مجرد أفراد منتمون إلى مجتمع، وفي نفس الوقت منتمون إلى النوع البشري، وهذا معطي معقد، لا ينفع معه أي حساب، إذ لا يمكن لنا القول أن الكائن الإنساني، هو كائن بيولوجي بنسبة 33%،وكائن ثقافي بنسبة 44%، وكائن اقتصادي بنسبة 80%.

يبصر **إدغار موران** في المنظومة التعليمية، ويرى أنها متأزمة، ذلك لأنها تعبث بهذه الوحدة المركبة للطبيعة الإنسانية في مختلف المواد الدراسية. وبفعل هذا التشتت أصبح من المستحيل اليوم أن نعرف ما نعنيه بالكائن الإنساني، لذلك يلح "موران" أنه على التعليم أن يجعل من الشرط الإنساني موضوعه الجوهري.

كما يجب على التعليم أن يكون مبنيا على هذه الأسس، فإذا تساءلنا من هو الأخر؟ وجدنا أنه مختلف عنا وشبيه بنا في الأن ذاته، هو شبيه بنا في "**الشعور بالألم والحب، والخوف والمعاناة، والفرح، ومختلف عنا إذا تحدثنا عن الانتماءات الدينية والعرقية، لذلك من اللازم مراعاة التنوع والاعتراف، وألا تختزل الإنسانية في كيانات مغلقة**"[3].

انطلاقا من التحليل السابق، نجد **إدغار موران** يدعو إلى **الأنوية الأرضية*** والتي تعني تعميق الانتماء إلى كوكب الأرض على نحو كوني، فلا بد للتعليم أن يكون على معرفة بمستجدات العصر الكوكبي، وأن يكون الاعتراف بالهوية الأرضية إحدى المواضيع الجوهرية للتعليم، ذلك أن هذا الأخير موجه بالأساس قاصدا إخراجه من التوحش إلى التأنس، وعلى هذا النحو يساعد كل من التربية وتعليم الإنسان على تحصيل المعرفة. إضافة إلى

[1]- إدغار موران وطارق رمضان، مصدر سابق، ص23.

[2]- مصدق الجليدي، **تربية المستقبل من فلسفة التربية والإصلاح التربوي**، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2014م، ص38.

[3]- إدغار موران، **تربية المستقبل (المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل)**، ترجمة، عزيز لزرق وخثير الحجومي، المغرب، دار توبقال، 2002م، ص16-17.

*- الأنوية الأرضية: وهي الأنا المتفتحة التي ترى ذاتها من خلال الغير وبلغة موران هي تلك التي تتضمن مبدأي الرفع والتضمن.

ذلك، يدعو **موران** المنظومة التربوية إلى التركيز على تعليم الفهم، لأن الأخير يشكل الفهم، لأن هذا الأخير يشكل الفهم في الوقت ذاته وسيلة التواصل الإنساني وغايته، والحال أن التربية على الفهم غائبة كليا في تعليمنا، في عصر أصبح اللاتفاهم هو العملة السائدة بين الناس، وهو ما يحمل التربية عناء تطوير الفهم وترسيخه عن طريق إصلاح التعليم.

وبهذا ينادي **موران** إلى تعليم يفضي" **إلى "أنتروبو–إيتيقا"، أي إلى أنسنه جديدة مقامة على الأخلاق من خلال الأخذ بعين الاعتبار الطابع الثلاثي للشرط الإنساني، أي كونه في الوقت ذاته فردا وعضوا في المجتمع ومنتمي إلى الجنس البشري ككل(فرد–مجتمع–نوع). من هنا يجب على التعليم أن يسهم ليس فقط في بناء الوعي بأرض الوطن، ولكن أن يسمح أيضا بترجمة هذا الوعي في إرادة تضع هدفا لها تحقيق المواطنة الأرضية**".[1]

وما نلاحظه عن المقاربة المورانية للتربية ليس الهدف هو إصلاح المنظومة التربوية، وإيجاد حلول ترقيعية للتعليم تشيد بخياراته، وإنما إعادة بناء المرجعية التربوية برمتها وفق منطق التعقيد.

خاتمة:

وفي الأخير، وبناء على ما تم تحليله، يمكننا أن نستخلص أن كلا المفكرين (**طارق رمضان، إدغار موران**)، كانوا على وعي أن ثمة أزمة معرفية، ينبغي تجاوزها بتوليد نموذج معرفي اخر له قدرة تفسيرية عالية لفهم تعقيدات الواقع، ويمكن اجمالها كالآتي:

فأزمة البراديغم في الرؤية الإسلامية يطرحها رمضان، في سياق العربي، حيث ينتقد النموذج المهيمن الذي ولد الانفصال المعرفي بين النص والواقع وتبعاته المفارقة، الحضارية التي تعاني منها الأمة الإسلامية، كما أنه ينتقد بشدة الفقه المعاصر معتبرا إياه قاصرا عن حل مشكلات المسلمين، مما يستدعي تجديد الفقه وفق متطلبات العصر الراهن، كما أنه ينتقد الحضور الإسلامي في الغرب، داعيا الى رؤية فقهية توليدية اجتهادية على ضوء هذا السياق الجديد، فاقترح نموذج فضاء الشهادة كبديل نموذج دار الإسلام.

أما **إدغار موران** هو الآخر، انتقد الأزمة المعرفية الغربية، المتمثلة في هيمنة براديغم الاختزال والفصل والتبسيط داعيا إلى براديغم التركيبي المبني على أبستمولوجيا التعقيد الحواري والمنفتح.

وامعان في الفهم، نستخلص أنه بالرغم من اختلاف الرؤية الإسلامية عن الرؤية الغربية وكذا نموذجهما المعرفي، لم يمنع أن نلقف براديغم آخر يجمعهما الذي هو براديغم الاعتراف، الذي يعزي الى البعد الكوني الذي نلمسه كلما تطرقنا إلى أفكار **رمضان وموران** حول حوارية المعارف وتعايشها أو الرهان على التربية من أجل تحقيق التعايش المنشود .

[1]– إدغار موران، **تربية المستقبل**، مصدر سابق، ص18..

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

1-إدغار موران وطارق رمضان، خطورة الأفكار، تساؤلات كبرى حول قضايا معاصرة، ترجمة محمد صلاح شياظمي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016.
2-إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة الجزء الثالث، ترجمة يوسف تيبس، المغرب، إفريقيا الشرق، 2013.
3- إدغار موران:المنهج، الأفكار، الجزء الرابع، ترجمة يوسف تيبس، المغرب، إفريقيا الشرق 2013.
4- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة، أحمد القصوار ومنير الحجومي، دار توبقال للنشر، المغرب، 2004.
5- إدغار موران، تربية المستقبل (المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل)، ترجمة، عزيز لزرق وخثير الحجومي، المغرب، دار توبقال، 2002م، ص16-17.
6- إدغار موران، نحو نموذج جديد، ترجمة: يوسف تنس، مجلة رؤى تربوية العدد 29.
7-الطاهر وعزيز، المفاهيم طبيعتها ووظيفتها، مجلة المناظرة، السنة الأولى، العدد الأول، 1989م.
8- توماس زونبي، إدغار موران، رائد الفكر المركب، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 33، 34، شتاء 2015.
9- طارق رمضان، الإصلاح الجذري، الأخلاقيات الإسلامية والتحرر، ترجمة أمين الأيوبي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، 2010.
10- طه كوزي، النماذج المعرفية في فكر طارق رمضان، مذكرة ماجستير في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى،2014.
11- فيصل المولوي: الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، دار الرشد الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، 1987.
12- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة، عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، سوريا، الطبعة الثانية، 2002.
13- مصدق الجليدي، تربية المستقبل من فلسفة التربية والإصلاح التربوي، الدار المتوسطية للنشر، ط1، 2014م.
14- محمد همام، مداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي الغربي، دراسة في العلاقات بين العلوم، بيروت، ط1، 2017.
15- يوسف تيبس،معيار العالم أو القابلية للانفصال، مجلة عالم الفكر، المجلد 37، العدد 02، 2008.
16- يوسف تيس، التصورات العلمية للعالم (قضايا اتجاهات في فلسفة، العلم المعاصرة)، ابن النديم، الجزائر، 2014.

ثانيا: اللغة الأجنبية

1-- Edgar Morin, connaissance ignorance mystère, Edition, Gallimard, Paris.
2 - Edgar Morin, Introduction a la pensée complexe, Edition du seuil, Paris, 2005.
3 - Edgar Morin, pensée global, l'homme et son univers, éd, Flammarion, Paris, 2016.
4- Edgar Morin, Science avec conscience, seuil, Paris, 1990.
5- Edgar Morin،Relier les connaissance،le défi du XXème siècle، paris .
6 - Giorgio Israël, modèle ? In : le modèle et le récit, les éditions de la MSH, 2007.
7 - Heidegger، Martin،ou d'appelle-t-on penser، éd، puff، Paris, 1983.
8 - Robin Fortin, comprendre la complexité, dans l'introduction qui est écrite par Edgar Morin, 2000.
9-Edgar Morin Et Taraq Ramadan, l'éthique aujourd'hui entre théorie et pratique : Elle Borane, 2014
10- Taraq Ramadan, Being a European Muslim: http://www.youtube.com//watch? V:M7GAAGFO&fe: outer: related
11 - Taraq Ramadan, Dar Asch-shahada, l'occident, espace de t'témoignage, Ed Tawhidi, 2004.
12 - Taraq Ramadan, Face à nos peurs, le choix de la confiance, Ed, Tawhidi, 2004.
13 - Taraq Ramadan, Mon intime conviction, Ed, Archie poche, 2011.
14 - Voir, Edgar Morin, La vie de la vie.